ومات!

كان يدّعي أن الموت أخٌ له من الرضاعة حينما ترك المدفن الأخير مهاجرا إلى الغفلة السوفيتية.

لم يتأبط سوى قصيدته التي كانت تشاطره قناعة الموت .. هي الوحيدة أيضًا التي اقتنعت بمرافقته إلى روسيا البيضاء لتكون قادرة على مقاربة السواد بأسطورة الجليد.

كانت رحلة لاكتشاف معنى التجمد، وطريقة أخرى لمعاقرة الأجساد الاشتراكية.. اشتراكية القناعة والرغبة .. الحياة والموت .. والبعث أيضا. عاش جرحين وهو يعاقر استوائية أفكاره وطبائعه ومأكولاته .. كان خرافيا حتى في نومه .. كان يستعجل النوم مبكرا .. لا لشيء إلا ليشعر أنه تفوّق على القانون الاشتراكي بحصوله على ساعات إضافية غير مصروفة من السلطة.

وذات قدَر مشئوم ضاق به الحيّ والقانون ذرعا، فاستيقظ على حين قرار، وتأهّب لرحلة داخلية كتجربة لطرد الملل المخيم على جثته. لم يكن يعرف أن الرمل السوفيتي أشد غياباً من ذاكرته المؤجلة .

حزم أمتعته وغادر القصيدة إلى الموعد المبرم لاحقا. تأبّط القميص العربي – مزهوّاً- ظنا منه أن ذلك سيمنحه التفرّد في الشكل والخصوصية المكانية أيضا. لكنه أدرك خطأه حينما باغتت قناعته فتاة نصف شقراء وهي تحث خطاها نحوه .. يبدو لها وكأنها قد حصلت على جرحٍ أثري .اقتربت نحوه بخطوات نصف بريئة .. مهمهمةً: لعلي بهذا الاكتشاف سأكون مميزة في الحقل الأصدقائي. فتاة في التاسعة عشرة من الجرح شعرها كأنه قصيدة مُرمّزة سامقة الدمع .. ممتلئة الأنقاض .. تكاد تنبثق من ضفافها فتنة البائسين ..لا تواريها سوى مزقاً خفيفةً من الابتسامات المصطنعة

افترشت الرمل لتباغتَه بالحديث.. أطرق في صمت مكهرب .ثم عاود متابعة شفتيها وهي تقترف: من أي جرحٍ طلعتَ إليّ؟

أوصد باب ذاكرته .. ومات!.